عن العقل والروح

العقل البشري يتقدّم ويرتقي، ولكنّ الروح البشرية تتأخّر وتتدهور، هذا هو السر!

في منتصف القرن الثامن عشر ظهر في فرنسا مفكّرون وفلاسفة عظام قاموا ينادون بالإصلاح وبالتحرير من قيود العهد القديم ومظالم القرون الوسطى. وقاموا يبثون الدعوة إلى إعمال العقل المفكر المبدع، طالبين من الطغاة المستبدين – الملوك ورجال الدين وطبقة الأشراف – أن يفسحوا مجالاً للعقل البشري ليعبّر عن نفسه في حرية تامة، وداعين الشعب الغارق في بحر الأوهام والخرافات والتقاليد البالية أن يحكّم عقله في المسائل وألاّ يخضع إلاّ لما يخضع له العقل، وألاّ يؤمن إلاّ بما يؤمن به العقل. وأخصّ منهم بالذكر فولتير، فلقد دعا الناس إلى استعمال عقولهم في كل شيء، والعقل وحده كفيل بأن يحررهم من القيود الثقيلة التي كانوا يرزحون تحت عبئها. وكذلك فعَل هيبير (Hebert)، أحد قواد الثورة، بل انه ذهب أبعد من ذلك وبالغ في تقديس العقل، فأقام له خدمة في كنيسة نوتردام حيث مثّلت العقل إحدى الممثلات الجميلات وقد احتلت مكانها على المذبح. غير ان واحداً من أولئك الفلاسفة، وأعني به جان جاك روسو، غاير آراءهم في تقديس العقل، بل ثار على تقديسه وعدّه في المكان الأوّل، وأعلن في جرأة وإخلاص ان مشكلة الإنسانية الكبرى، هي انها تفكر كثيراً لا قليلا، وتفكر أكثر مما يجب، وانه ويجب أن نتفق باحساساتنا وشعورنا وقلوبنا.

فلمَ بعض نافذينا الأشاوس يتشدّقون بالتمسّك بالقيم الروحية وهم منها براء، في حين انهم لا يأبهون بعقول الشعب ولا يعيرون الركائز العقلية أي اهتمام؟

ان أسطع دليل على ما نستخلصه هنا اننا نعود القهقرى في قيم الحياة وهي من إنتاج العقل (المحرِّر!) والروح على السواء.

الدولة هي نحن جميعاً، فهل تمسي شبه حِلم أو اعجوبة تنتظر قديساً؟!

الدكتور جهاد نعمان
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه